النبي ﷺ في رمضان

الطبعة الثالثة
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م

التدقيق اللغوي
شروق محمد سلمان

الإخراج الفني
حسن عبد القادر العزاني

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
mail@iacad.gov.ae www.iacad.gov.ae



دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department



النبي ﷺ في رمضان

بقلم
د. عبد الحكيم الأنيس
كبير باحثين أول بإدارة البحوث

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد: فيسر « **دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث** » أن تقدِّم إصدارَها الجديد « **النبي ﷺ في رمضان**» لجمهور القراء من السادة الباحثين والمثقفين والمتطلعين إلى المعرفة.

وتأتي هذه الرسالة الغنية على إيجازها مع هبوب نفحات الشهر الكريم: شهر رمضان، لتصحبنا في رحلة روحية مع النبي ﷺ في أشهر رمضان بدءا من السنة الثانية للهجرة حيث فرض الصوم وإلى آخر رمضان قضاه النبي ﷺ في دنيانا وهو رمضان السنة العاشرة للهجرة، فيكون بذلك قد شهد تسعة رمضانات فُرض فيها الصوم، وتتبعها هذا الكتيب بدقة في الاستقصاء، وحرصٍ على الربط بين الأحداث وإبداء الرأي بشأن ما يلتبس منها، ليقدم صورة قريبة لحياة النبي ﷺ في هذه الأجواء الكريمة: أجواء شهر الصوم.

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء **لأسرة آل مكتوم** حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها **صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم**، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيِّد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي، ويشجع أصحابه وطُلابه .

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على النَّبي الأمي الخاتم سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدير إدارة البحوث

الدكتور سيف بن راشد الجابري

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيه الأمين، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه المختارين.

وبعد:

فهذه ومضات وقبسات وأخبار من حياة النبي ﷺ وهديه في شهر رمضان المبارك، تتبعتها - على قدر ما تيسر لي الآن - في كتب السيرة والسنة، ورتبتها على حسب تسلسلها من رمضان الأول في السنة الثانية من الهجرة إلى رمضان التاسع في السنة العاشرة، وقد صام النبي ﷺ تسعة رمضانات، واجتهدت في معرفة تأريخ ما لم يؤرخ، وأبديت بعض الآراء في ذلك، ومثلُ هذه الطريقة ـ حين يُربط الحدث بزمانه ومكانه ـ تزيد الرواية وضوحاً،

وتساعد على فهم أدق وأفضل، وتثير كذلك بعض التساؤلات، كما سترى - أخي القارئ - في ثنايا هذه الرسالة، فإن وُفقت فالحمد لله، وإن أخطأت فأستغفره سبحانه، وأرجو ممن يقرؤها المشاركة في استكمال الأحداث فثم رمضانات لا نعرف فيها عن حياة النبي ﷺ شيئاً، ولعل التوسع في مراجعة المصادر يدلنا على أحداث أخرى، تغطي هذه المساحة الفارغة.

وقد أردت من هذا العمل أن أسهم في إرواء ظمأ نفوس تتطلع إلى معرفة كليات حياة النبي ﷺ وجزئياتها، وترجو أن تعيش لحظات مباركة سامية معه ﷺ في سيرته العطرة المباركة، ومن ذلك أن تعرف كيف صام وأفطر، وقام وصلى، واعتكف وتعبد، وسافر وأقام، واستقبل الوفود وبلّغ الدين، ونشر الإسلام وربَّى المسلمين، وكيف كانت حياته الشريفة التي ملأت الدنيا نوراً

وسروراً، وبهجة وحبوراً، وأشاعت في أجوائها عطراً يفتح منافذ القلوب، وأريجاً يغسل صدأ النفوس، فصلى الله عليه وسلم، وبارك وعظم، وجزاه الله خير ما جزى نبياً عن أمته، وألهمنا التمسك بسنته، والتملي من سيرته، والعمل على نهجه وطريقته.

ولا شك أن العودة إلى السيرة النبوية، والكينونة مع النبي ﷺ من خلالها هي من أحسن الوسائل التي تزيد المسلم عزماً وحزماً، وبصارة وبشارة، وترتقي به في منازل سيره اهتداء واقتداء، ولا سيما اليوم ونحن نشهد أهوالاً وأوجالاً، وظلمات تريد الإطباق على القلوب والأرواح والنفوس.

وهذه الرسالة نواة لعمل كبير أرجو أن أوفق - أو يوفق أحد - للقيام به، وقد جاءت مختصرة موجزة،

وتحـت كل فقـرة كلام يطول، وأخبـار ونصوص وتعليق ودروس وعبر.

وإذا كانـت هذه خطوة عـلى الطريق فأرجو أن تتبعها خطوات، والله المستعان.

عبد الحكيم الأنيس

* * *

رمضان الأول في السنة الثانية

قال الذهبي في «المغازي» من «تاريخ الإسلام» في أحداث السنة الثانية: «وفي رمضان فرض الله صوم رمضان، ونسخ فريضة يوم عاشوراء»(١).

وقال ابن كثير: «قال ابن جرير: وفي هذه السنة فرض - فيما ذكر - صيام شهر رمضان، وقد قيل: إنه فرض في شعبان منها»(٢).

وقال الأستاذ العمري: «أما الصوم فقد كانت فرضيته يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة»(٣).

* * *

(١) (٢/ ١٢٦).
(٢) البداية والنهاية (٣/ ٢٥٤)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤١٧).
(٣) السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٦٢٦-٦٢٧).

وعن أحوال الصيام يحدثنا معاذ بن جبل فيقول:

«أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال... وأما أحوال الصيام فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وصام عاشوراء.

١- ثم إن الله فرض عليه الصيام، وأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤] فكان مَنْ شاء صام، ومن شاء أطعم مسكيناً فأجزأ ذلك عنه.

٢- ثم إن الله عزَّ وجلَّ أنزل الآية الأخرى ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾... إلى قوله: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥] فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح، ورخص فيه للمريض والمسافر،

وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام[1]، فهذان حالان.

٣- قال [معاذ]: وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا، ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له: «صِرْمَة» كان يعمل صائماً حتى أمسى، فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح، فأصبح صائماً، فرآه رسول الله ﷺ وقد جهد جهداً شديداً فقال: ما لي أراك قد جهدت جهداً شديداً؟ قال: يا رسول الله إني عملت أمس فجئت حين جئت فألقيت نفسي فنمت، فأصبحتُ حين أصبحت صائماً.

قال: وكان عمر قد أصاب من النساء بعدما نام، فأتى النبيَّ ﷺ فذكر له ذلك، فأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿ أُحِلَّ

---

(١) قال ابن كثير في التفسير (١/ ٢١٥): «حاصل الأمر: أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه...».

لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾... إلى قولـه: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]»[1].

إذن دخل رسـولُ الله ﷺ المدينة في شـهر ربيع الأول وجعل يصوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر- والراجح أن صيام عاشوراء كان فرضاً، وأما الأيام الثلاثة فهي على سـبيل التطـوع، ولم يثبت فـرض صيام قبـل رمضان غير عاشـوراء - إلى أن دخلت السـنة الثانية (وتبدأ عدتها من محـرم) ففرض صيام رمضـان، وقد مرّ صوم رمضان بهذه الأحـوال الثلاثة التي فصّلها معاذ، فصام رسـول الله ﷺ والمسلمون[2]، إلا أننا لا ندري متى تم إيجاب الصيام على

---

(١) مسند أحمد (٥/ ٢٤٦-٢٤٧)، وسنن أبي داود، كتاب الصلاة (١/ ١٤٠)، والمسـتدرك (٢/ ٢٧٤)، وانظـر: الـدر المنثـور (١/ ١٨٤).

(٢) في كتـاب «أيـام حياة النبـي الكريم ﷺ» صــ١٨-١٩ بحث عـن أول يـوم من رمضـان الأول، وعدد أيامه، ويـوم العيد، فانظره.

الجميع ونُسخ التخيير، كما أننا لا ندري متى نزلت الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ ...﴾، ترى هل كان هذان الحالان في رمضان الأول أم في الثاني؟

وهُناك رواية أخرجها الطبري من طريق العوفي ـ وهو طريق ضعيف ـ نصها: «إن عمر بينما هو نائم إذ سولت له نفسه فأتى أهله، فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعتذر إلى الله، وإليك من نفسي، فإنها زينت لي فهل تجد لي من رخصة؟ فقال: لم تكن بذلك حقيقاً يا عمر. فلما بلغ بيته أرسل إليه. فأتاه، فعذره في آية من القرآن، وأمر الله رسوله أن يضعها في المئة الوسطى من البقرة»[١].

وتشير هذه الرواية – ورواية أخرى عن البراء[٢] – إلى التراخي في نزول هذه الآية.

---

(١) جامع البيان (٣/ ٤٩٧-٤٩٨). وانظر: الدر المنثور (١/ ٢٠٦).

(٢) انظر: الدر المنثور (١/ ٢٠٥).

وعلى أية حال فهي رخصة لمن امتنع عن الطعام فجهد وهو صِرْمَة - وفي اسمه خلاف كثير [1] - ولمن قارب زوجه وهو عمر وغيره.

* * *

وقد جاء في الآية: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ ولفظ: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ نزل وحده بعد الآية فقد روى الشيخان عن سهل بن سعد قال: أنزلت: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ ولم ينزل ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعده ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فعلموا أنما يعني الليل من النهار[2].

---

(١) ينظر: العجاب في بيان الأسباب (١/ ٤٤٥-٤٤٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم: باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ...﴾ (٤/ ١٣٢)، والتفسير (٨/ ١٨٢-١٨٣): =

قال ابن عطية: «رُوي أنه كان بين طرفي المدة عام من رمضان إلى رمضان، تأخر البيان إلى وقت الحاجة»[1].

وقال القرطبي المحدث (ت: ٦٥٦ هـ): «روي أنه كان بينهما عام»[2]. قال ابن حجر: «ولم يبين الاثنان مستنداً»[3].

* * *

وفي رمضان هذا اعتكف النبي ﷺ العشر الأول:

روى الطبراني بسند حسن عن أم سلمة قالت: اعتكف رسول الله ﷺ أول سنة: العشر الأول، ثم

= باب ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ... ﴾ - والعزو دائماً إلى البخاري مع فتح الباري فليعلم -، وصحيح مسلم، كتاب الصيام (٢/ ٧٦٧).

(١) المحرر الوجيز (٣/ ١٢٦).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ١٤٩-١٥٠).

(٣) فتح الباري (٤/ ١٣٤).

اعتكـف العشر الوسـطى، ثم العشر الأواخـر، وقال: إني رأيت ليلة القدر فيها، فأنسـيتها. فلم يزل رسـول الله ﷺ يعتكف فيهن حتى توفي[1].

* * *

وفي رمضـان هـذا كانت وقعة بـدر الكبرى في (١٧) منه، وأحداثها مشهورة معلومة[2].

* * *

وفيـه توفيـت رقية بنـت رسـول الله ﷺ وكان عثمان يُمَرِّضُها وخلَّفه الرسول ﷺ على ذلك فلم يشهد بدراً:

قال ابـن حجر: «ذكر الـسرَّاج في «تاريخه» من طريق هشـام بن عـروة عن أبيـه قال: تخلـف عثمان وأسـامة بن

---

(١) المعجـم الكبـير (٢٣/ ٤١٢)، ومجمـع الزوائـد (٣/ ١٧٣)، والسيرة الشامية (٨/ ٤٤١).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٤١٨-٤٧٩).

زيد عـن بـدر، فبينا هم يدفنون رقية سـمع عثمان تكبيراً، فقال: يا أسامة ما هذا؟ فنظروا فإذا زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء بشيراً بقتل المشركين يوم بدر»[1].

وقـال: «أخرج ابن سـعد من طريق عـلي بن زيد عن يوسـف بن مهـران[2] عن ابـن عباس قال: لمـا ماتت رقية قـال النبـي ﷺ: الحقي بسـلفنا عثمان بن مظعـون. فبكت النسـاء على رقية، فجاء عمر بن الخطاب فجعل يضربهن. فقـال النبي ﷺ: مهما يكـن من العين ومن القلب فمن الله والرحمـة، ومهـما يكن مـن اليد واللسـان فمن الشـيطان. فقعدت فاطمة على شـفير القبر تبكي، فجعل يمسـح عن عينها بطرف ثوبه.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٠٥).

(٢) علي ضعيف، ويوسف لين الحديث، كما في التقريب ص ٤٦٨ و ٧٠٨.

قال الواقدي: هذا وهم ولعلها غيرها من بناته، لأن الثابت أن رقية ماتت ببدر، أو يحمل على أنه أتى قبرها بعد أن جاء من بدر»[1].

* * *

وفيه توفي سعد بن مالك الخزرجي الساعدي والد سهل بن سعد، وكان تجهز إلى بدر فمات قبلها في رمضان. قال الذهبي: «فيقال إن النبي ﷺ ضرب له بسهمه، ورده على ورثته»[2].

* * *

وفيه كانت سرية عمير بن عدي الخطمي:

قال الذهبي: «ذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ بعثه لخمس بقين من رمضان، إلى عصماء بنت مروان، من بني

(١) الإصابة (٤/ ٣٠٤).

(٢) المغازي (٢/ ١٤٢).

أميـة بن زيد، كانت تعيب الإسـلام، وتحـرّض على النبي ﷺ، وتقول الشعر. فجاءها عُمير بالليل فقتلها غيلة»[(١)].

وانظر تفصيل الخبر في «المغازي» للواقدي[(٢)].

❋ ❋ ❋

وفي آخره فُرضت صدقة الفطرة كما قال الذهبي[(٣)].

وقـال ابن كثـير: «قال ابن جرير: وفي هذه السـنة أمر النـاس بزكاة الفطـر. وقد قيل: إن رسـول الله ﷺ خطب الناس قبل الفطر بيوم ـ أو يومين ـ وأمرهم بذلك»[(٤)].

---

(١) المغازي (٢/ ١٣٦).

(٢) (١/ ١٧٢-١٧٤).

(٣) المغـازي (٢/ ١٢٦)، وانظـر بعض الأحاديث عن زكاة الفطر في: بلـوغ المرام لابن حجر صـ١٠٨، برقم (٥٠٣-٥٠٥)، والترغيب والترهيب (٢/ ١٤٩-١٥٠).

(٤) البداية والنهاية (٣/ ٢٥٥-٢٥٦)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤١٨).

وعـن جرير رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «صوم شهر رمضان معلق بين السماء والأرض، ولا يرفع إلا بزكاة الفطر»[1].

* * *

وفي أول شـوال من هذه السنة «صلى النبي ﷺ صلاة العيـد، وخرج بالنـاس إلى المصلى، فـكان أول صلاة عيد صلاهـا، وخرجــوا بين يـديــه بالحربـة - وكانت للزبير وهبهـا لـه النجاشي - فكانـت تُحْمَلُ بين يدي رسـول الله ﷺ في الأعياد»[2].

* * *

---

(١) رواه أبو حفص ابن شاهين في «فضائل رمضان» وقال: حديث غريب جيد الإسناد. الترغيب والترهيب (٢/ ١٥٠).

(٢) البداية والنهاية (٣/ ٢٥٦)، وانظر: تاريخ الطبري (٢/ ٤١٨).

رمضان الثاني في السنة الثالثة

قضاه النبي ﷺ في المدينة كما يدل عليه قول ابن إسحاق: «وكانت إقامة رسول الله ﷺ بعد قدومه من نجران، جمادى الآخرة ورجباً وشعبان وشهر رمضان، وغزته قريش غزوة أحد في شوال سنة ثلاث»[١].

* * *

وفيه ولد الحسن:

قال الذهبي: «وفي رمضان ولد السيد أبو محمد الحسن بن علي رضي الله عنهما»[٢]، وولادته في نصف رمضان[٣].

* * *

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٩-٦٠).

(٢) المغازي (٢/ ١٦٤).

(٣) أزمنة التاريخ الإسلامي صـ ١٨.

وفيه تزوج النبي ﷺ بحفصة بنت عمر[1].

وتزوج زينب بنت خزيمة:

قال الذهبي في أحداث السنة الرابعة: «وفيها توفيت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة... وكانت تسمى أم المساكين، لإحسانها إليهم، تزوجت أولاً بالطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، ثم طلقها فتزوجها أخوه عبيدة بن الحارث، فاستشهد يوم بدر، ثم تزوجها رسول الله ﷺ في رمضان سنة ثلاث، ومكثت عنده على الصحيح ثمانية أشهر وقيل: كانت وفاتها في آخر ربيع الآخر، وصلى عليها النبي ﷺ ودفنها بالبقيع، ولها نحو ثلاثين سنة رضي الله عنها»[2].

* * *

---

(١) المغازي (٢/ ١٦٤)، وانظر عنها: الإصابة (٤/ ٢٧٣).

(٢) المغازي (٢/ ٢٥٥)، وانظر عنها: الإصابة (٤/ ٣١٥).

رمضان الثالث في السنة الرابعة

يجب البحث عن أحداث رمضان هذا، ولعل فيه كان ما يرويه البخاري عن أبي الدرداء قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر. وما فينا صائم، إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة»[١].

وعند مسلم من طريق سعيد بن عبد العزيز أيضاً: خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان، في حرٍ شديد[٢].

قلتُ: هذا لأن النبي ﷺ في السنة الثالثة والخامسة والسادسة والسابعة كان يقضي رمضان في المدينة، ولا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم - ولم يذكر الباب - (٤/ ١٨٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيام: باب التخيير في الصوم والفطر في السفر (١/ ٧٩٠).

يمكن حمل الحديث على بدر لأن أبا الدرداء لم يكن أسلم، ولا على الفتح لأن ابن رواحة استشهد في مؤتة قبله[1].

على أن من المشهور أن سفر النبي ﷺ في رمضان منحصر في بدر والفتح فالله أعلم.

* * *

هذا، وقد صام النبي ﷺ رمضان هذا وقد أصبح له حفيدان من ابنته السيدة فاطمة: الحسن والحسين، إذ ولد الحسين في شعبان من هذه السنة - رضي الله تعالى عنهم أجمعين -.

* * *

(١) انظر: فتح الباري (٤/ ١٨٢-١٨٣).

رمضان الرابع في السنة الخامسة

عـاد النبـي ﷺ في بدايتـه إلى المدينـة، وكانـت فيـه محنة الإفك:

قال الأستاذ العمري: «وفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة خرج الرسول ﷺ بجيشه من المدينة نحو ديار بني المصطلق، وهذا هو الراجح، وهو قول موسى بن عقبة الصحيح، حكاه عن الزهري وعن عروة، وتابعه أبو معشر السندي والواقدي وابن سعد، ومن المتأخرين ابن القيم والذهبي، أما ابن إسحاق فذهب إلى أنها في شعبان سنة ست، ويُعارض ذلك ما في صحيحي البخاري ومسلم من اشتراك سعد بن معاذ في غزوة بني المصطلق مع استشهاده في غزوة بني قريظة عقب الخندق مباشرة، فلا يمكن أن تكون غزوة بني المصطلق إلا قبل الخندق»[1].

(١) السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٤٠٦).

ثم قال: «وعاد الرسول ﷺ إلى المدينة لهلال رمضان بعد أن غاب عنها شهراً إلا ليلتين» وأحال على مغازي الواقدي[1].

وفي هذه الغزوة - التي اتفق أهل المغازي على وقوعها في شعبان، وإن اختلفوا في السنة [2] - بدأت حادثة الإفك واستمرت - إذن - رمضان كله، ويؤخذ من الروايات أن البراءة نزلت بعد شهر، أو أكثر، أي في شوال، وحديث المحنة مشهور، وهو عند البخاري وغيره مطولاً من حديث عائشة رضي الله عنها،ولم أجد فيه ما يشير إلى رمضان[3]!

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٤٠٨)، وانظر: المغازي للذهبي (٢/ ٣٤٩).

(٢) انظر: مرويات غزوة بني المصطلق للشيخ إبراهيم قريبي صـ٨٩-١٠٢.

(٣) ورجعت كذلك إلى جزء «حديث الإفك» للحافظ عبد الغني المقدسي (ت: ٦٠٠هـ)، وقد أورد فيه عدة روايات في ذلك، وإلى «مرويات غزوة بني المصطلق»، ولم أجد ما يشير إلى رمضان أيضاً!

قال العمري: «وما إن رجع الرسول ﷺ إلى المدينة حتى جاءته جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار تستعينه في عتق نفسها من ثابت بن قيس بن الشماس الذي وقعت في سهمه، وكانت قد كاتبته، وقد ذَكَرَتْ للرسول مكانها في قومها، فقضى عنها كتابَها وتزوجها...»[1].

وإذا علمنا أن الرسول ﷺ رجع إلى المدينة لهلال رمضان خلصنا إلى أن مجيء جويرية - حسب ظاهر هذا الكلام - كان في ذلك الحين، وكذلك زواجه منها، ولكن يعارض هذا أنّ البيت النبوي كان مشغولاً بمحنة الإفك، فلابد - والله أعلم - أن يكون الزواج قبل الرجوع، أو بعده بوقتٍ ما.

ويُرَجِّح الأولَ ـ أي كان قبل الرجوع ـ ما جاء عن جويرية: أتانا رسول الله ﷺ ونحن على المريسيع، فأسمعُ أبي يقول: أتانا ما لا قِبَلَ لنا به، قالت: وكنت أرى من

(١) السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٤١٣).

الناس والخيل والعدد ما لا أصف من الكثرة. فلما أن أسلمت وتزوجني رسول الله ﷺ ورجعنا جعلت أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى، فعرفت أنه رعب من الله...»[1]. وكذلك يرجح هذا سياقُ الخبر عن السيدة عائشة[2].

* * *

ولعله في رمضان هذا حَوَّل النبي ﷺ اعتكافه إلى العشر الأواخر:

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ كان يعتكف في العشر الأوسط من رمضان، فاعتكف عاماً، حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين - وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه - قال: مَنْ كان اعتكف معي فليعتكف العشر

---

(١) المغازي للذهبي (٢/ ٢٥٩-٢٦٠) عن مغازي الواقدي (١/ ٤٠٨).

(٢) ينظر في: المغازي للذهبي (٢/ ٢٦٣-٢٦٤).

الأواخـر، فقد أُرِيتُ هـذه الليلة ثم أُنسِـيتُها، وقد رأيتني أسـجد في مـاء وطين من صبيحتها، فالتمسـوها في العشر الأواخـر، والتمسـوها في كل وتـر. فمطرت السـماء تلك الليلـة، وكان المسـجد عـلى عريـش، فوكـف المسـجد، فبصرت عيناي رسـول الله ﷺ على جبهته أثر الماء والطين من صبح إحدى وعشرين»[١].

وجـاء عـن أم سـلمة رضي الله عنهـا «أن النبـي ﷺ اعتكـف في أول سـنة العـشر الأُوَل، ثـم اعتكـف العشر الوسـطى، ثم اعتكـف العشر الأواخر، وقـال: إني رأيت ليلة القدر فيها، فأنسيتها. فلم يزل رسول الله ﷺ يعتكف فيهن حتى توفي ﷺ»[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف: باب الاعتكاف في العشر الأواخر... (٤/ ٢٧١).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ٤١٢)، وإسناده حسن. مجمـع الزوائـد (٣/ ١٧٣)، والسـيرة الشـامية (٨/ ٤٤١) وقد مرَّ.

ومن مجموع هذين الحديثين قد نخرج بما يلي:

- اعتكف النبي العشر الأول مرة واحدة.

- اعتكف العشر الأوسط أكثر من مرة بحيث عُرف ذلك عنه، يدل على هذا قول أبي سعيد: كان يعتكف في العشر الأوسط من رمضان. وأقل ما تعرف به العادة ثلاث مرات. فيكون اعتكف في رمضان الثاني والثالث والرابع في العشر الأوسط، وفي الرابع هذا لعله استمر معتكفاً العشر الأواخر.

ـ كان النبي ﷺ في رمضان هذا محزوناً لمحنة الإفك، وقد يدل هذا على انصرافه إلى ربه واعتزاله الناس، وتسلية الله تعالى له بليلة القدر[1]. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) وعن هذه الليلة انظر: زاد المسير صـ ١٥٧٠-١٥٧٣.

رمضان الخامس في السنة السادسة

قضاه النبي ﷺ في المدينة، ولم يصح خروجه فيه إلى الحديبية:

قال ابن إسحاق: «ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً وخرج في ذي القعدة معتمراً، لا يريد حرباً»[1].

وقال الذهبي في قصة غزوة الحديبية: «خرج إليها رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة ست. قاله نافع وقتادة والزهري وابن إسحاق وغيرهم وعروة في مغازيه، رواية أبي الأسود.

وتفرد علي بن مسهر عن هشام عن أبيه أنَّ رسول الله

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٨).

ﷺ خـرج إلى الحديبيـة في رمضـان، وكانـت الحديبيـة في شوال...»[١].

* * *

ومن المشهور أنه عليه الصلاة والسلام استسقى لأمته أكثر من مرة، ومن ذلك استسقاؤه في مصلى العيد:

روى الإمـام البخـاري عن عبد الله بن زيـد أن النبي ﷺ خـرج إلى المصلى فاستسـقى فاسـتقبل القبلـة، وقلب رداءه، فصلى ركعتين[٢].

---

(١) المغازي (٢/ ٣٦٣).

(٢) البخـاري: كتاب الاستسـقاء (٢/ ٤٩٧-٤٩٨). ثم قـال أبو عبـد الله: «كان ابـن عيينة يقول: هو صاحـب الأذان، ولكنه وهـم لأن هـذا عبـد الله بـن زيـد بـن عاصـم المـازني، مازن الأنصار».

قال ابن حجر: «أفاد ابن حبان أن خروجه ﷺ إلى المصلى للاستسقاء كان في [أول] شهر رمضان سنة ست من الهجرة»[1].

❋ ❋ ❋

وفي رمضان هذا بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه في سرية إلى وادي القرى[2].

❋ ❋ ❋

وفيه كانت سرية عبد الله بن عتيك رضي الله عنه إلى سلاّم بن أبي الحقيق. على قول ابن سعد[3].

❋ ❋ ❋

---

(١) الفتح (٢/ ٤٩٩)، والسيرة النبوية لابن حبان صـ ٢٠١، وما بين المعقوفتين منه.

(٢) انظر التفصيل في: السيرة الشامية (٦/ ٩٩-١٠٠).

(٣) انظر: السيرة الشامية (٦/ ١٠٢-١٠٥).

وكذلك سرية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى خيبر[1].

* * *

(١) انظر: السيرة الشامية (٦/ ١١١-١١٢).

رمضان السادس في السنة السابعة

قال ابن إسحاق: «فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر أقام بها شهري ربيع وجماديين ورجباً وشعبان ورمضان وشوالاً، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ﷺ. ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صدّه فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء، مكان عمرته التي صدّوه عنها»[١].

* * *

ورمضان السادس هذا أول رمضان صامه أبو هريرة مع رسول الله ﷺ:

وقد روى البخاري عنه[٢] عن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٧٠).

(٢) إذا كان الحديث في البخاري اكتفيت بالعزو إليه.

١ - «الصيامُ جُنَّة، فلا يرفث ولا يجهل. وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم - مرتين - والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي[١]، الصيام لي وأنا أجزي به[٢]، والحسنة بعشر أمثالها»[٣].

وفي لفظ آخر: «قال رسول الله ﷺ: قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله

---

(١) هذا من رواية النبي ﷺ عن ربه، كما في اللفظ الثاني.

(٢) اختلف العلماء في تفسير هذا التخصيص على عشرة أقوال، انظرها في: إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٤/ ١٨٩-١٩٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم: باب فضل الصوم (٤/ ١٠٣).

من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه»[1].

فلعل أبا هريرة سمعه في هذه السنة أو فيما بعدها.

٢- وكذلك روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة»[2].

٣- وقال: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلِّقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»[3]. وزاد الترمذي وابن ماجه والحاكم: «ونادى مناد: يا باغي الخير هلم، ويا باغي الشر أقصر»[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم: باب هل يقول إني صائم إذا شُتم (٤/ ١١٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم: باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان (٤/ ١١٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: الإتحاف للزبيدي (٤/ ١٩٢)، والدر المنثور (١/ ١٩٢).

٤- وكذلك روى عنه أنه قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[١].

٥- وقال: قال نبي الله وهو يبشر أصحابه: «قد جاءكم رمضان، شهر مبارك افترض عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغَلُّ فيه الشياطين»[٢].

٦- وقال: «مَنْ لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم: باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية (٤/ ١١٥). وقال ابن حجر: «المراد بالإيمان الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب: طلب الثواب من الله تعالى. وقال الخطابي: احتساباً أي عزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه طيبةً نفسه بذلك، غير مستثقل لصيامه، ومستطيل لأيامه».

(٢) رواه ابن أبي شيبة. الإتحاف (٤/ ١٩٢).

حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[1].

٧- وقال: «لا يتقدمن أحدُكم رمضانَ بصوم يوم أو يومين إلا أَنْ يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم»[2].

٨- وقال: «إذا نسي فأكل وشرب فليُتِمَّ صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه»[3].

٩- وقال: «بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله: هلكت، قال: مالك؟ قال:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم: باب من لم يدع قول الزور... (٤/ ١١٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم: باب لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين (٤/ ١٢٧-١٢٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم: باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسياً (٤/ ١٥٥).

وقعتُ على امرأتي وأنا صائم. فقال رسول الله ﷺ: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. قال: فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟ قال: لا. قال: فمكث النبي ﷺ، فبينما نحن على ذلك أُتِيَ النبي ﷺ بِعَرَقٍ فيها تمر ـ والعرق: المِكْتَل ـ قال: أين السائل؟ فقال: أنا. قال: خُذْ هذا فتصدق به. فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها ـ يريد الحرتين ـ أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: أطعمه أهلك»[1].

١٠- وقال: «نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم: باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق عليه فليُكَفِّر (٤/ ١٦٣). وهذا يذكرنا بحديث المظاهر سلمة بن صخر الأنصاري، وهو غيره.

يا رسول الله؟ قال: وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقين. فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوماً ثم يوماً، ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخر لزدتكم. كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا». وفي رواية أخرى: «فاكلفوا من العمل ما تطيقون»[1].

١١- وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر»[2].

١٢- وقال: قال رسول الله ﷺ: «اغزوا تغنموا، وصوموا تصحوا، وسافروا تستغنوا»[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم: باب التنكيل لمن أكثر الوصال (٤/ ٢٠٥-٢٠٦).
(٢) رواه النسائي (٤/ ٢١٨-٢١٩) بسند صحيح.
(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ١٧٤)، برقم (٨٣١٢). قال المنذري: ورواته ثقات. الترغيب (٢/ ١٠٠).

١٣- وقـال: قال رسـول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يُضاعَف. الحسنة عشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف ـ قال الله عـزَّ وجـلَّ ـ إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شـهوته وطعامه من أجلي...»[١].

زاد ابـن ماجـه بعـد قوله: سـبع مئة ضعـف: «إلى ما شاء الله»[٢].

١٤- وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عزَّ وجلَّ: إن أحب عبادي إلي أعجلهم فطراً»[٣].

* * *

---

(١) صحيـح مسـلم، كتـاب الصيـام: بـاب فضـل الصيـام (٢/ ٨٠٧).

(٢) سـنن ابـن ماجه، كتاب الصيام: باب ما جـاء في فضل الصيام (١/ ٥٢٥).

(٣) رواه أحمـد (٢/ ٣٢٩)، والترمـذي وحسـنه برقـم (٦٩٦)، وابـن خزيمة وابن حبـان في صحيحيهما (صحيـح ابن حبان ٨/ ٢٧٥-٢٧٦). الترغيب والترهيب (٢/ ١٤٣).

وفي هذه السنة تزوج النبي ﷺ صفية بنت حيي (من يهود خيبر):

وقد روى البخاري عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنَّ صفية زوج النبي ﷺ أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله تزوره في اعتكافه في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعةً ثم قامت تنقلب فقام النبي ﷺ معها يقلبها[1]، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مرّ رجلان من الأنصار فسلّما على رسول الله ﷺ فقال لهما النبي ﷺ: على رسلكما، إنما هي صفية بنت حيي. فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكَبُرَ عليهما، فقال النبي ﷺ: إنّ الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم وإني خشيت أنْ يَقذِفَ في قلوبكما شيئاً[2].

---

(١) يوصلها إلى بيتها.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف: باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد (٤/ ٢٧٨).

فلعلها زارته في هذه السنة أو في العاشرة، وأما الثامنة فقد كان النبي ﷺ في غزوة الفتح، وأما التاسعة فيترجح لي أنه لم يعتكف فيها في رمضان.

* * *

وفي رمضان هذا كانت سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة[1].

* * *

(١) انظر: السيرة الشامية (٦/ ١٣٣) وفيه: «ذكر ابن سعد وتبعه في «العيون» و «المورد» أن في هذه السرية قَتَلَ أسامةُ بن زيد رضي الله عنه نهيك بن مرداس الذي قال: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: ألا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب الخ. وسيأتي الكلام على ذلك في سرية أسامة إلى الحرقات». انظر (٦/ ١٩٢-١٩٣).

رمضان السابع في السنة الثامنة

(رمضان الفتح)

في أول هذا الشهر بعث النبي ﷺ سرية إلى بطن إضم.. بقيادة أبي قتادة بن ربعي الأنصاري، في ثمانية نفر.. ليظن ظان أن رسول الله ﷺ توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار(١).

وبعث هشام بن العاص السهمي في سرية(٢).

ثم كان المسير إلى مكة:

قال ابن إسحاق راوياً بسنده عن ابن عباس: «وخرج – أي النبي – لعشر مضين من رمضان، فصام رسول الله

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٣٣)، وانظر: السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة للدكتور بريك العمري صـ ٢٦٩، والسيرة الشامية (٦/ ١٩٠-١٩١).

(٢) قاله الواقدي. انظر: الإصابة (٣/ ٦٠٤).

ﷺ، وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكُديد، بين عُسفان وأَمَـج أفطر»[1]. ثم قال: «وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان»[2].

وقال الذهبي: «قال سـعيد بن عبـد العزيز عن عطية ابـن قيـس، عـن أبي سـعيد الخدري قـال: خرجنـا لغزوة فتـح مكـة لليلتين خلتا من شـهر رمضان صوامـاً فلما كنا بالكديد، أمرنا رسول الله ﷺ بالفطر»[3].

ثم قـال: «قال الزهـري: فَصَبَّحَ رسـول الله ﷺ مكة لثلاث عـشرة ليلـة خلت مـن رمضـان...»[4]. وثَمَّ قول

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٩٩-٤٠٠). والكديد: ماء بين الحرمين. وعُسفان: موضع على مرحلتين من مكة. القاموس صـ ٤٠١ و ١٠٨٢.
(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٣٧).
(٣) المغازي (٢/ ٥٣٦).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٥٣٧).

آخــر[1] – وهـو عنـد الترمانينـي[2] – في (١٠) رمضان، وهو وَهَم.

من أحداث الطريق:

١ – روى البخـاري عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كنا مع رسـول الله ﷺ في سـفر وهو صائم، فلما غابـت الشـمس قال لبعـض القـوم: يا فلان قـم فاجدح لنا[3]، فقال: يا رسـول الله لو أمسـيتَ، قال: انزل فاجدح لنا، قال: يا رسول الله فلو أمسيت؟ قال: انزل فاجدح لنا، قـال: إنّ عليك نهاراً، قـال: انزل فاجدح لنا، فنزل فجدح لهـم، فشرب النبي ﷺ ثم قـال: إذا رأيتم الليـل قد أقبـل

---

(١) السابق (٢/ ٥٣٨).

(٢) أزمنة التاريخ الإسلامي صـ ٢٤.

(٣) الجـدح: تحريك السـويق ونحوه بالماء بعودٍ يقـال له: المِجْدَح، مجنح الرأس. الفتح (٨/ ١٩٧)، وانظر: النهاية (١/ ٢٤٣).

مـن هـاهنـا فقـد أفـطـر الصـائم[1].

قال ابن حجر: «هذا السفر يشبه أن يكون سفر غزوة الفتح، ويؤيده رواية هشيم عن الشيباني عند مسلم بلفظ: «كنا مع رسـول الله ﷺ في سـفر في شـهر رمضان»[2] وقد تقدم أن سفـره في رمضان منحصر في غـزوة بـدر وغزوة الفتح، فإن ثبت فلم يشهد ابن أبي أوفى بدراً فتعينت غزوة الفتح»[3].

٢- وروى مالـك في الموطـأ مـن طريـق أبي بكر بن عبد الرحمن عن رجل من الصحابة قال: رأيت رسول الله ﷺ بالعـرج يصـب المـاء على رأسـه مـن العطـش أو من

(١) صحيـح البخاري، كتاب الصوم: بـاب متى يحل فطر الصائم (٤/ ١٩٦).
(٢) كتـاب الصيام: باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار (٢/ ٧٧٢).
(٣) فتح الباري (٤/ ١٩٧).

الحر... فلما كان رسول الله ﷺ بالكديد دعا بالقدح فشرب، فأفطر الناس[1].

وأحداث فتح مكة معلومة مشهورة، وكذلك أيام مقام النبي ﷺ بمكة[2]، فلا أتعرض لها.

* * *

وفي هذا الشهر:

أرسل النبي ﷺ سعد بن زيد الأشهلي لهدم مناة لست بقين منه[3].

وأرسل خالد بن الوليد لهدم العزى لخمس بقين منه[4].

---

(١) الموطأ برقم (٨٠٧)، ونقله في الفتح (٤/ ١٨٢).
(٢) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٤٢-٦٥).
(٣) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٦٦)، والسيرة الشامية (٦/ ١٩٩).
(٤) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٦٥-٦٦)، والسيرة الشامية (٦/ ١٩٦).

وأرسل عمرو بن العاص لهدم سواع[1]، في ثلاث سرايا.

* * *

(١) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٦٦)، والسيرة الشامية (٦/ ١٩٨).

رمضان الثامن في السنة التاسعة

(سنة الوفود)

في هذا الشهر كان وفد ثقيف في المدينة[1]:

قال ابن إسحاق: «وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف»[2].

وقال: «حدثني عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي عن بعض وفدهم، قال: كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله ﷺ ما بقي من رمضان، بفطورنا وسحورنا من عند رسول الله ﷺ، فيأتينا بالسحور، وإنا لنقول: إنا لنرى الفجر قد طلع،

---

(١) انظر عن هذا الوفد: تاريخ الطبري (٣/ ٩٦-١٠٠)، والمغازي للذهبي (٢/ ٦٦٧)، ومجمع الزوائد (٣/ ١٤٩)، والإصابة (٣/ ١٠٣)، والسيرة الشامية (٦/ ٣٦٥).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٣٧).

فيقول: قد تركت رسول الله ﷺ يتسحر، لتأخير السحور، ويأتينا بفطرنا، وإنا لنقول: ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد فيقول: ما جئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ، ثم يضع يده في الجفنة، فيلتقم منها»[1].

وقد روى أبو داود في سننه بسنده عن أوس بن حذيفة حديثاً فيه صورةٌ عن لقاء رسول الله ﷺ بوفد ثقيف: قال أوس: قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له. ـ قال مسدد: وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف. قال: كان كلّ ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا، قال أبو سعيد: ـ قائماً على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام ـ وأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قريش، ثم يقول: لا سواء، كنا مستضعفين

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٣٧). وانظر: مجمع الزوائد (٣/ ١٥٢).

مستذلين - قال مسدد: بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم: نُدال عليهم ويُدالون علينا. فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلنا: لقد أبطأت عنا الليلة، قال: إنه طرأ علي جزئي من القرآن فكرهتُ أنْ أجيء حتى أتمه[1].

قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده...»[2].

وعن عثمان بن أبي العاص - وقد أسلم في المدينة في وفد ثقيف[3] - رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) لعل النبي ﷺ يقصد عرضه القرآن على جبريل، إذ كان يتلقاه كل ليلة من رمضان فيعرض عليه القرآن كما سيأتي.

(٢) سنن أبي داود (٢/ ٥٥)، ط العصرية، و(٢/ ٢٣٧)، ط دار القبلة.

(٣) انظر: الإصابة (٢/ ٤٦٠).

يقـول: «الصـوم جنة من النار كجنة أحدكـم من القتال».
وسـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «صيام حسن: ثلاثة أيام من كل شهر»[1].

ويظهر لي أن تأجيل النبي ﷺ اعتكافه إلى شـوال كان في رمضان هذا:

روى البخاري عن عائشـة رضي الله عنها قالت: كان رسـول الله ﷺ يعتكـف في كل رمضان، فـإذا صلى الغداة دخل مكانه الذي اعتكف فيه. قال: فاسـتأذنته عائشـة أَنْ تعتكـف، فأذن لها، فضربت فيه قبة، فسـمعت بها حفصة فضربت قبة، وسـمعت زينب بها فضربت قبة أخرى، فلما انصرف رسول الله ﷺ من الغداة أبصر أربع قباب، فقال: مـا هذا؟ فأخـبر خبرهن فقال: ما حملهن عـلى هذا؟ آلبر؟ انزعوهـا فلا أراها. فنزعت، فلم يعتكف في رمضان حتى

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٣٠١) برقم (٢١٢٥). وهو في الترغيب (١/ ١٠١).

اعتكف في آخر العشر من شوال[1].

والذي حملني على هذا الاستظهار ما يلي:

١ - قال ابن العربي في تعليل اعتكاف النبي ﷺ عشرين يوماً في آخر رمضاناته: «يحتمل أن يكون سبب ذلك أنه لما ترك الاعتكاف في العشر الأخير بسبب ما وقع من أزواجه واعتكف بدله عشراً من شوال، اعتكف في العام الذي يليه عشرين ليتحقق قضاء العشر في رمضان» ا. هـ[2]. فيكون تركه الاعتكاف في رمضان الثامن هذا[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف: باب الاعتكاف في شوال (٤/ ٢٨٣-٢٨٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٤/ ٢٨٥).

(٣) وأما قول ابن حجر (٤/ ٢٨٥): «وأقوى من ذلك أنه إنّما اعتكف في ذلك العام [أي العام العاشر] عشرين، لأنه كان العام الذي قبله مسافراً...» ففيه نظر، لأن رمضان السابق ـ وهو هذا ـ قضاه النبي ﷺ في المدينة بيقين، فقد عاد من تبوك واستقبل وفد ثقيف وصاموا معه ما بقي من رمضان. إلا أن يحمل السفر على سفره في رمضان الفتح في العام الثامن.

٢- أن النبي ﷺ كان مشـغولاً بوفد ثقيف، يدعوهم إلى الإسلام، ثم بعد إسلامهم يفقههم في الدين، ويتألفهم، وقـول أوس بن حذيفـة: «كان كل ليلة يأتينا بعد العِشـاء يحدثنـا قائماً على رجليـه حتى يراوح بـين رجليه من طول القيـام...» قد يشـير إلى عدم اعتكافـه، إذ كان في اعتكافه ينـصرف إلى العبـادة انصرافـاً تامـاً «كان إذا دخـل العشر الأواخر شدَّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله».

٣- ويخطر لي أنه ربما أمر بالقباب التي ضربتها نساؤه أمهات المؤمنين، فَنُزِعت، لأن المسـجد كان مشـغولاً بهذا الوفـد (وربـما غيره أيضـاً فهذه سـنة الوفـود) ووجودها يضيّقُ على المصلين والمعتكفين والوافدين.

* * *

وفي رمضـان هذا كان قدوم وفد بني سـعد هذيم[1]،

---

(١) انظر: السيرة الشامية (٦/ ٣٤٣-٣٤٤).

وقدوم وفد الداريين[1]، ووفد فزارة وطلبهم الاستسقاء، ودعاء النبي ﷺ ونزول الغيث[2]، وقدوم وفد مرة[3].

* * *

وفي رمضان الثامن هذا صام عدي بن حاتم مع رسول الله ﷺ:

وقد روى البخاري عنه قال: «لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ عمدتُ إلى عقال أسود، وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال: إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»[4].

---

(١) انظر التفصيل في السيرة الشامية (٦/ ٣٣٤).

(٢) المصدر السابق (٦/ ٣٩٤).

(٣) المصدر السابق (٦/ ٤١٠).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصوم: باب قول الله تعالى ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ...﴾ (٤/ ١٣٢).

قـال ابـن حجـر: «قولـه لمـا نزلـت...»، ظاهـره أنَّ عديـاً كان حـاضراً لما نزلت هذه الآيـة، وهو يقتضي تقدم إسـلامه، وليـس كذلـك لأن نـزول فـرض الصـوم كان متقدماً في أوائل الهجرة، وإسـلام عدي كان في التاسعة أو العاشرة كما ذكره ابن إسـحاق وغيره من أهل المغازي[1]، فإمـا أن يُقال: إن الآية التـي في حديث الباب تأخر نزولها عـن نزول فـرض الصوم وهـو بعيد جداً، وإمـا أن يؤول قـول عـدي هذا عـلى أن المـراد بقولـه: «لما نزلـت» أي لما تُليـت عليّ عند إسـلامي، أو لمـا بلغني نـزول الآية، أو في السـياق حذفٌ تقديره: لما نزلت الآية ثم قدمت فأسلمتُ وتعلمـت الشرائع عمـدت[2]، وقد روى أحمـد[3] حديثه

(١) في الحاوي للماوردي (١٨/ ٨٩) (كتاب السير) أن قدوم عدي في شعبان من السنة العاشرة.

(٢) وهـذه الملاحظـة تقودنا إلى ضرورة التـأني في التعامل مع هذه العبارة: «لما نزلت» وأمثالها.

(٣) في مسنده (٣٢/ ١١٧) برقم (١٩٣٧٥) ط الرسالة.

من طريق مجالد بلفظ: «علمني رسول الله ﷺ الصلاة والصيام فقال: صلِّ كذا، وصم كذا، فإذا غابت الشمس فكل حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود، قال: فأخذت خيطين... الحديث»[1].

ومما جرى لعدي بن حاتم مع رسول الله ﷺ في اللقاءات الأولى نذكر ما يأتي:

روى أحمد والبغوي في معجمه وغيرهما، من طريق أبي عبيدة بن حذيفة قال: كنت أحدث حديث عدي بن حاتم فقلت: هذا عدي في ناحية الكوفة، فأتيته فقال: لما بُعث النبي ﷺ كرهته كراهية شديدة، فانطلقت حتى كنت في أقصى الأرض مما يلي الروم، فكرهت مكاني أشدَّ من كراهته، فقلت: لو أتيته، فإن كان كاذباً لم يخف علي، وإن كان صادقاً اتبعته. فأقبلت، فلما قدمت المدينة استشرفني الناس فقالوا: عدي بن حاتم، فأتيته فقال لي:

---

(١) فتح الباري (٤/ ١٣٢-١٣٣).

يا عدي أسلم تسلم. قلت: إن لي ديناً. قال: أنا أعلم بدينك منك، ألست ترأس قومك؟ قلت: بلى. قال: ألست تأكل المرباع؟ قلت: بلى. قال: فإن ذلك لا يحل لك في دينك. ثم قال: أسلم تسلم، قد أظن أنه إنما يمنعك غضاضة تراها ممن حولي، وأنك ترى الناس علينا أَلْباً واحداً. قال: هل أتيت الحيرة؟ قلت: لم آتها وقد علمت مكانها. قال: يوشك أن تخرج الظعينة منها بغير جوار حتى تطوف بالبيت، ولتفتحن علينا كنوز كسرى بن هرمز. فقلت: كسرى بن هرمز؟! قال: نعم، وليفيضن المال حتى يهم الرجل من يقبل صدقته. قال عدي: فرأيت اثنتين: الظعينة، وكنت في أول خيل أغارت على كنوز كسرى، وأحلف بالله لتجيئن الثالثة[1].

* * *

(١) مسند أحمد (٣٢/ ١٢٣) برقم (١٩٣٨١) ط الرسالة، والإصابة (٢/ ٤٦٨). ولم يُذْكَر عدي في القسم المطبوع من معجم الصحابة للبغوي.

وفي هـذه السـنة أسـلم واثلـة بـن الأسـقع وكان من أهل الصفة:

وعنه قال: «حضر رمضـان ونحن في الصفة فصمنا، فكنـا إذا أفطرنـا أتى كلَّ رجـلٍ منا رجلٌ، فأخـذه فانطلق به فعشّاه.

فأتـت علينا ليلـة لم يأتنا أحـد، فأصبحنـا صياماً، ثم أتـت القابلة علينا فلـم يأتنا أحد، فانطلقنا إلى رسـول الله ﷺ فأخبرنـاه بالـذي كان من أمرنا، فأرسـل إلى كل امرأة من نسـائه يسـألها: هل عندها شيء؟ فما بقيت منهن امرأة إلا أرسلت تُقسِم: ما أمسى في بيتها ما يأكل ذو كبد.

فقال لهم رسـول الله ﷺ: اجتمعوا، فدعا رسـول الله ﷺ فقـال: اللهم إنا نسـألك من فضلـك ورحمتك، فإنهما بيدك لا يملكهما أحدٌ غيرك.

فلـم يكـن إلا ومسـتأذن يسـتأذن، فـإذا شـاة مَصْلِيَّة ورُغُـفٌ، فأمـر بهـا رسـول الله ﷺ فوضِعَتْ بـين أيدينا، فأكلنا حتى شـبعنا، فقال لنا رسـول الله ﷺ: إنا سـألنا الله من فضله ورحمته، وقد ذخر لنا عنده رحمته»[1].

* * *

(١) رواه أبـو نعيـم في الحلية (٢/ ٢٢)، وانظـر: رجحان الكفة في بيان نبذة من أخبار أهل الصفة للسخاوي صـ ٣٠١-٣٠٢.

رمضان التاسع في السنة العاشرة

(وهو الأخير)

في هذه السنة توفي إبراهيم ابن النبي ﷺ:

قال ابن حجر: «وقد ذكر جمهور أهل السير أنه مات في السنة العاشرة من الهجرة:

فقيل: في ربيع الأول.

وقيل: في رمضان.

وقيل: في ذي الحجة.

والأكثر على أنها[1] وقعت في عاشر الشهر.

وقيل: في رابعه.

وقيل: في رابع عشرة.

(١) أي وفاة إبراهيم.

ولا يصح شيء منها على قول ذي الحجة لأن النبي ﷺ كان إذ ذاك بمكة في الحج، وقد ثبت أنه شهد وفاته وكانت بالمدينة بلا خلاف، نعم قيل إنه مات سنة تسع فإن ثبت يصح، وجزم النووي بأنها كانت سنة الحديبية، ويجاب بأنه كان يومئذ بالحديبية ورجع منها في آخر الشهر...»[1].

قلت: والمعروف أن الشمس كُسِفَت يوم وفاة إبراهيم، وقد حقق محمود باشا الفلكي في كتابه «نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام وفي تحقيق مولده وعمره عليه الصلاة والسلام» أنَّ كسوف الشمس في المدينة كان في الساعة (٨) والدقيقة (٣٠) بعد نصف الليل من يوم (٢٧) يناير سنة (٦٣٢ م).

---

(١) فتح الباري (٢/ ٥٢٩)، وانظر: الإصابة (١/ ١٧٥).

قال: «وبناء على ذلك يكون اليوم التاسع والعشرون من شوال من السنة العاشرة للهجرة موافقاً لليوم السابع والعشرين من يناير سنة (٦٣٢)»[1].

وعلى هذا فيكون إبراهيم في رمضان هذا حياً، ولنا أن نتصور سعادة النبي ﷺ وسروره بوجوده.

* * *

في رمضان هـذا كانت سريـة علي رضي الله عنه الثانية إلى اليمن[2].

* * *

وفيه قدم وفد غسان وهم ثلاثة نفر[3].

---

(١) نتائج الأفهام صـ ١٩. وانظر: أيام حياة النبي الكريم ﷺ صـ ٢١.

(٢) انظر: السيرة الشامية (٦/ ٢٣٨).

(٣) المصدر السابق (٦/ ٣٩١).

وفيــه كان قــدوم جرير بــن عبد الله البجـلي رضي الله عنه، على قول محمد بن عمر الأسلمي[1].

* * *

وفيه اعتكف النبي ﷺ عشرين يوماً:

روى البخـاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً[2].

وفي حديــث ابن ماجه عن أبي هريرة قال: «كان النبي ﷺ يعتكـف كل عـام عـشرة أيـام، فلـما كان العـام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً، وكان يعرض عليه القرآن

---

(١) انظر تفصيل قدومه في المصدر السابق (٦/ ٣١١-٣١٢).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف: باب الاعتكاف في العشر الأوسط من رمضان (٤/ ٢٨٤-٢٨٥).

في كل عـام مـرة، فلـما كان العام الـذي قبض فيـه عُرِضَ عليه مرتين»[1].

وعن هذا يقول ابن عباس:

كان النبـي ﷺ أجـود النـاس بالخـير، وكان أجود ما يكـون في رمضان حـين يلقاه جبريـل، وكان جبريل عليه السـلام يتلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ[2]، يعرض عليـه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السـلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة. رواه البخاري[3].

---

(١) سـنن ابـن ماجه، كتـاب الصيام: بـاب ما جـاء في الاعتكاف (١/ ٥٦٢)، وانظـر فتـح البـاري (٤/ ٢٨٥)، وزاد المعـاد (٢/ ٨٩).

(٢) يـدل هـذا عـلى أن اللقـاء والمعارضـة كانت كل ليلـة، فما قيل مـن أن سـبب اعتكافـه في رمضانـه الأخير عشريـن ليلة لأن المعارضة كانت مرتين (كما نقل في الفتح ٤/ ٢٨٥) ففيه نظر، فالمعارضة لم تكن مختصة بالاعتكاف.

(٣) صحيـح البخاري، كتاب الصوم: باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان (٤/ ١١٦).

ويقـول أيضـاً: «كان رسـول الله ﷺ إذا دخـل شـهر رمضان أطلق كل أسير، وأعطى كل سائل»[1].

* * *

وبعـد هذه الجولـة المباركة مع وقائع حيـاة النبي ﷺ في رمضـان، ممـا نُصَّ على تاريخـه، أو اجتهـدت في معرفة تاريخه اسـتدلالاً واحتمالاً، ننتقل إلى ذكر شيء من أحواله العامة، سـائلين الله تعالى أن يقربنا من النبي ﷺ والاقتداء به صياماً وقياماً وسلوكاً:

---

(١) أخرجه البزار والبيهقي. الدر المنثور (١/ ١٩٤).

من أحوال النبي ﷺ في رمضان

١ – «كان ﷺ يفطـر قبـل أن يصـلي، وكان فطره على رطبـات إن وجدها، فإن لم يجدها فعلى تمرات، فإن لم يجد، فعلى حسوات من ماء.

ويُذْكَـرُ عنـه ﷺ أنه كان يقول عند فطـره: اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم. ولا يثبت.

ورُوي عنـه أيضـاً أنه كان يقـول: اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت. ذكره أبو داود عن معاذ بن زهرة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان يقول ذلك [فهو مرسل].

وروي عنه ﷺ أنه كان يقول إذا أفطر: « ذهب الظمأ، وابتلـت العـروق، وثبت الأجر إن شـاء الله تعالى ». ذكره

أبو داود من حديث الحسين بن واقد، عن مروان بن سالم المقفع، عن ابن عمر»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما رأيت رسول الله ﷺ قط صلى صلاة المغرب حتى يفطر، ولو على شربة من ماء[2].

٢- «وكان من هديه ﷺ أن يدركه الفجر وهو جنب من أهله، فيغتسل بعد الفجر ويصوم. وكان يقبل بعض أزواجه وهو صائم في رمضان. وشبَّه قُبلة الصائم بالمضمضة بالماء»[3].

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٥١-٥٢).

(٢) رواه أبو يعلى، وابن خزيمة (٣/ ٢٧٦) برقم (٢٠٦٣) وابن حبان (٨/ ٢٧٤) برقم (٣٥٠٤) من صحيحيهما. الترغيب والترهيب (٢/ ١٤٤).

(٣) زاد المعاد (٢/ ٥٧).

٣- ويظهر أنه كان يتسحر - أحياناً - مع أصحابه:

روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: تسحرنا مع النبي ﷺ ثم قام إلى الصلاة، قال أنس: قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية[١].

وعن عبد الله بن الحارث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يتسحر فقال: «إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوه»[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم: باب قدر كم بين السحور وصلاة الفجر (٤/ ١٣٨).
وتقدير الوقت بقراءة القرآن يشير إلى اشتغال الصحابة بالتلاوة كثيراً في هذا الشهر:
قال النووي: «السنة كثرة الاعتناء بتلاوة القرآن في شهر رمضان، وفي العشر الأخير منه أكثر، وليالي الوتر منه آكد». التبيان صـ ١٤٣ . وقد ضربت الأمة أروع الأمثلة في ذلك.

(٢) رواه النسائي (٤/ ١٤٥) بإسناد حسن. الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٨).

وعن العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يدعو إلى السحور في شهر رمضان، وقال: «هلموا إلى الغداء المبارك»[1].

٤- وكان يبالغ في العبادة لا سيما في العشر الأواخر:

روى البخاري عن عائشة قالت: كان النبي إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله[2].

٥- وكان يصلي في الليل وحده:

روى البخاري عن عروة أن عائشة أخبرته أنَّ رسول الله ﷺ خرج ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد، وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا،

---

(١) رواه النسائي (٤/ ١٤٥)، وانظر (٤/ ١٤٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضل ليلة القدر: باب العمل في العشر الأواخر من رمضان (٤/ ٢٦٩).

فاجتمـع أكثر منهـم، فصلى فصلـوا معه، فأصبـح الناس فتحدثـوا، فكثـر أهل المسـجد من الليلـة الثالثـة، فخرج رسـول الله فصُـلي بصلاته، فلما كانت الليلـة الرابعة عَجَزَ المسـجد عن أهلـه حتى خـرج لصلاة الصبـح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعدُ فإنه لم يخفَ عـليّ مكانكم، ولكن خشـيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها. فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك[1].

وقد يصلي معه بعض الصحابة:

كـما في حديـث حذيفـة بـن اليـمان قـال: صليت مع رسـول الله ليلة مـن رمضان في حجرة مـن جريد النخل، فقـام فكبر فقـال: الله أكـبر ذو الجـبروت والملكوت وذو الكبرياء والعظمة، ثم افتتح البقرة فقرأ فقلت: يبلغ رأس

---

(١) صحيـح البخاري، كتاب صـلاة التراويح: باب فضل من قام رمضان (٤/ ٢٥٠-٢٥١).

المئـة، ثـم قلـت: يبلـغ رأس المئتين، ثـم افتتـح آل عمران فقرأهـا، ثم افتتح النسـاء فقرأهـا، لا يمر بآيـة التخويف إلا وقـف فتعوذ، ثـم ركع مثل ما قام يقول: سـبحان ربي العظيم ـ يرددهن ـ ثم رفع رأسه فقال: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد ـ مثل ما ركع ـ ثم سجد مثل ما قام يقول: سـبحان ربي الأعلى، ويقول بين السجدتين: رب اغفر لي. فما صلى إلا أربع ركعات من صلاة العتمة ـ من أول الليل إلى آخره ـ حتى جاء بلال فآذنه بصلاة الغداة[١].

٦- وكان مـن هديـه ﷺ أنـه يهيـئ أصحابـه لشـهر رمضان:

عن عبـادة بن الصامـت أنَّ رسـول الله ﷺ قال يوماً وحضر رمضان: «أتاكم رمضان شـهر بركة، يغشـاكم الله

(١) رواه الحاكـم في المسـتدرك (١/ ٣٢١) وقـال: هـذا حديـث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

فيه فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإنّ الشقي مَن حرم فيه رحمة الله عزَّ وجلَّ»[1].

وعن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هذا رمضان قد جاء، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتغل فيه الشياطين، بُعداً لمن أدرك رمضان فلم يغفر له، إذا لم يغفر له فيه فمتى؟»[2].

---

(١) قال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١٠): «رواه الطبراني [في الكبير] ورواته ثقات، إلا أن محمد بن [أبي] قيس لا يحضرني فيه جرح ولا تعديل».
وقال الهيثمي عنه (٣/ ١٤٢): «لم أجد من ترجمه».
(٢) قال في مجمع الزوائد (٣/ ١٤٢-١٤٣): «رواه الطبراني في الأوسط [(٧/ ٣٢٣) برقم (٧٦٢٧)]، وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي، وهو ضعيف».

٧- وكان من هديه ﷺ الترغيب بتفطير الصائم، وفي ذلك دعوة إلى التراحم والتكافل والتكامل:

عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فطّر صائماً على طعام وشراب من حلال صلت عليه الملائكة في ساعات شهر رمضان، وصلى عليه جبريل ليلة القدر».

رواه الطبراني في الكبير والبزار وزاد بعد قوله: وصلى عليه جبريل ليلة القدر: «ورزق دموعاً ورقة، قال سلمان: إن كان لا يقدر على قوته؟ قال: على كسرة خبز، أو مذقة لبن، أو شربة ماء كان له ذلك»[(١)].

---

(١) المعجم الكبير (٦/ ٢٦١) برقم (٦١٦٢)، ومجمع الزوائد (٣/ ١٥٦-١٥٧). وقال: «فيه الحسن بن أبي جعفر: قال ابن عدي: له أحاديث صالحة، وهو صدوق، قلت: وفيه كلام». والترغيب والترهيب (٢/ ١٤٥)، وعزاه أيضاً إلى أبي الشيخ ابن حيان في كتابه الثواب.

وعـن زيد بـن خالد الجهني عن النبـي ﷺ قال: «مَنْ فطّـر صائـماً كان له مثل أجـره غير أنه لا ينقـص من أجر الصائم شيء»[1].

٨- وكان يُرغِّـب بالاعتـمار في رمضـان ويُعلـم أنَّ عمـرة في رمضان تعدل حجة معـه[2]. وذلك بعد رجوعه من حجة الوداع[3].

---

(١) قال المنذري: «رواه الترمذي [برقم (٨٠٤)]، والنسـائي [في الكـبرى برقـم (٣٣١٧)]، وابـن ماجه [برقـم (١٧٤٦)]، وابن خزيمة [برقم (٢٠٦٤)] وابن حبان [برقم (٣٤٢٩)] في صحيحيهـما. وقال الترمـذي: « حديث صحيح.. » ولفظ ابـن خزيمـة والنسـائي: مَنْ جهز غازيـاً، أو جهـز حاجاً، أو خلفـه في أهله، أو فطَّر صائماً كان له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء». الترغيب (٢/ ١٤٥).

(٢) انظـر الأحاديـث الـواردة في ذلـك في الترغيـب والترهيـب للمنـذري، كتـاب الحـج: الترغيـب في العمـرة في رمضـان (٢/ ١٦٧).

(٣) السيرة الشامية (٨/ ٤٥٠).

وقد استجابت الأمة إلى هـذه الدعوات النبوية أجمل استجابة، وأصبح رمضان درة مضيئة في عقد الأيام، يَشع هدىً وتقىً، وصلة وصلاة، وإيماناً وإحسـاناً، ويشهد فيه النـاس تكاتفـاً وتكافلاً، وإنفاقـاً وإشراقـاً، وكل هذا من فيض قوله تعالى فيه: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.



خاتمة

وهكذا رأينا ـ في هذه العجالة ـ أن رمضانات النبي ﷺ كانت عامرة بالعبادة المضاعفة: صياماً وقياماً واعتكافاً، وبتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله، ونشر أحكام الدين.

ويلاحظ أن سفره عليه الصلاة والسلام فيه قليل، وكأنَّ هذا يدل على انصرافه إلى الصيام والقيام، مع أن سفره كان جهاداً في سبيل الله.

فأين نحن من هذا، وكيف نقضي رمضان؟ وما حظنا منه؟ وما أثره فينا؟ وما حفاظنا عليه؟ وما تقديرنا له؟ وما اغتنامنا لأيامه ولياليه؟

إن رمضان «سيدَ الشهور»[1] موسم من مواسم الله الكبرى، فحري بنا ألا نضيع هذه المواسم، وألا نفوِّت هذه المغانم، ومن الجميل أن نردد مع رسول الله ﷺ

(١) انظر عن هذه التسمية: الدر المنثور (١/ ١٩٤).

قولــه: «بعداً لمن أدرك رمضان فلم يُغفر لـه، إذا لم يغفر لـه فيـه فمتى» فمتى؟!

ويا أخي الكريم:

أي عيد لمـن أدرك العيد وهو لم يصـم رمضان؟ وأي جائزة لمن حضر يوم الجائزة وهو قد أخفق في الامتحان؟

تلفـت حولـك وانظـر: كم فقـدت في هـذا العام من قريـب وصديـق، وحبيـب ورفيـق، بالأمـس كانـوا هنا، واليوم قد أمسوا هناك...

وأنـا وأنـت وكل من على وجـه الأرض، ألسـنا على الأثر؟ فاحزم أمرك وتحزم.

وإذا دخلت العشر الأواخر فما أقرب حلول العيد !

كن مسـلماً حقاً، ودع الأرض تسعد بوجودك عليها. و«رمضـان» مـن أقـرب الطـرق إلى ذلـك. ولـك ـ بعد ـ الخيـار، والمصـير أحـد موضعـين لا ثالث لهما: إمـا الجنة، وإما النار!

المصادر

١ - إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي، مصورة مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، (١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

٢ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان، تحـ: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢ (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).

٣- أزمنة التاريخ الإسلامي للدكتور عبد السلام الترمانيني، دار طلاس - دمشق، ط٢ (١٤٠٨هـ).

٤ - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، مصورة دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥ - أيام حياة النبي الكريم ﷺ لابن فاطمة، مطبعة السعادة ـ القاهرة، (١٣٥٤هـ-١٩٣٥م).

٦ - البداية والنهاية لابن كثير، مصورة مكتبة المعارف - بيروت.

٧- بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر، تحـ: رضوان محمد رضوان، دار الكتاب العربي - بيروت.

٨- تاريخ الطبري، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصورة بيروت.

٩- التبيان في آداب حملة القرآن للنووي، تحـ: زهير شفيق الكبي، دار الكتاب العربي، ط١ (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

١٠- الترغيب والترهيب للمنذري، تحـ: أيمن صالح، دار الحديث - القاهرة، ط١ (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م).

١١- تفسير ابن كثير، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.

١٢- تفسير الطبري، تحـ: محمود وأحمد شاكر، دار المعارف - القاهرة.

١٣- تقريب التهذيب لابن حجر، تحـ: محمد عوامة، دار ابن حزم - بيروت، ط١ (١٩٩٩م).

١٤- الحاوي الكبير للماوردي، تحـ: محمود مطرجي وآخرون، دار الفكر - بيروت ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٥- حديث الإفك لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، تحـ: إبراهيم صالح، دار البشائر - دمشق، ط١ (١٩٩٤م).

١٦- الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، مطبعة الأنوار المحمدية-القاهرة.

١٧- رجحان الكفة في بيان نبذة من أخبار أهل الصفة للسخاوي، تحـ: مشهور آل سلمان وأحمد الشقيرات، دار السلف - الرياض، ط١ (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

١٨- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط١ (١٤٢٣هـ)،

١٩- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، تحـ: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، الرسالة - بيروت، ط٢٦ (١٤١٢هـ).

٢٠- السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة للدكتور بريك العمري، دار ابن الجوزي - الدمام، ط١ (١٤١٧هـ).

٢١- السنن لابن ماجه، تحـ: محمد فؤاد عبد الباقي، مصورة دار إحياء التراث.

٢٢- السنن لأبي داود، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد، العصرية - بيروت. وتحـ: محمد عوامة، دار القبلة.

٢٣- سنن الترمذي ضمن شرحها «تحفة الأحوذي» مصورة دار الفكر-بيروت.

٢٤- السنن للنسائي، بعناية عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط٤ (١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

٢٥- السنن الكبرى للنسائي، تحـ: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١ (١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

٢٦- السيرة الشامية (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ (١٤١٤هـ-١٩٩٣م).

٢٧- السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمري، مكتبة العلوم والحكم - المدينة، ط١ (١٤١٥هـ).

٢٨- السيرة النبوية لابن حبان، تحـ: عبد السلام علوش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط١ (١٤١٥هـ).

٢٩- السيرة النبوية لابن هشام، تحـ: مصطفى السقا وآخرين، دار الفكر - بيروت.

٣٠- صحيح ابن خزيمة، تحـ: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢ (١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).

٣١- صحيح البخاري، مع فتح الباري.

٣٢- صحيح مسلم، تحـ: محمد فؤاد عبد الباقي، مصورة دار الكتب العلمية، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

٣٣- طبقات ابن سعد، مصورة دار صادر.

٣٤- العجاب في بيان الأسباب لابن حجر، تحـ: عبد الحكيم الأنيس، دار ابن الجوزي - الدمام، ط١ (١٤١٨هـ).

٣٥- فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر، السلفية.

٣٦- القاموس المحيط للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ط٥ (١٤١٦هـ).

٣٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، مصورة دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

٣٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تحـ: مجموعة، الدوحة، ط١ (١٤٠٩هـ).

٣٩- مرويات غزوة بني المصطلق، جمع وتحقيق ودراسة إبراهيم بن إبراهيم قريبي، توزيع مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

٤٠- المستدرك للحاكم، مصورة طبعة حيدر آباد الدكن.

٤١- مسند أحمد، مصورة البولاقية. وطبعة مؤسسة الرسالة، فإن أردت الثانية صرحت.

٤٢- المعجم الأوسط للطبراني، تحـ: طارق بن عوض الله وعبد المحسـن الحسـيني، دار الحرمين - القاهرة (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٤٣- معجم الصحابة للبغوي، تحـ: محمد الأمين الجكني، دار البيان - الكويت، ط١ (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

٤٤- المعجـم الكبير للطبراني، تحـ: حمدي السـلفي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

٤٥- المغازي للذهبي (في تاريخ الإسـلام)، تحـ: د. عمر تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٢ (١٤١٠هـ).

٤٦- المغـازي للواقدي، تحـ: د. مارسـدن جونس، عالم الكتب - بيروت.

٤٧- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأحمد بن عمـر القرطبي، تحـ: محيي الدين مسـتو وآخرين، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب - دمشق، ط١ (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).

٤٨- الموطـأ (روايـة يحيـى الليثـي)، تحـ: د. بشـار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط٢ (١٤١٧هـ).

٤٩- نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام وفي تحقيق مولده وعمره عليه الصلاة والسلام لمحمود باشا الفلكي، دار المنارة - جدة.

٥٠- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحـ: الزاوي والطناحي، مصورة المكتبة العلمية - بيروت.

* * *

فهرس الموضوعات